

صورة السيف في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي

د. خالد زغريت**

هبة عبد الرحمن الشامي*

(الإيداع: 15 آيار 2022، القبول: 23 آب 2022)

الملخص:

يتناول هذا البحث صورة السيف في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي فارس اليمن الذي احتوى شعره وثيقة تاريخية آرخ فيها أحداث المعارك التي خاضها في الجاهلية والإسلام، واصفاً فيها الأسلحة التي يمتلكها مثل السيف الذي أكثر من ذكره، فوجدنا فيه مادة كافية للدراسة كماً ونوعاً، فكان هذا محقراً للبحث فيها لبيان صورة أسمائها ونعوتها والكشف عن البنية الفنية فيها، إذ سيقدم البحث دراسة وافية لها بخلاف الدراسات السابقة التي لم تتسع لاستيفاء جوانبها كافة معتمداً على المنهج الوصفي لاستيفاء مختلف أبعاد هذه الظاهرة، إذ سيقوم بتصنيفها والتعمق في دراستها وتدقيقها جمالياً ليقدم صورة مفصلة عنها.

الكلمات المفتاحية: الصورة-السيف

* طالبة ماجستير-اختصاص أدب صدر الإسلام-كلية الآداب-حماة.

**دكتور-اختصاص أدب جاهلي-كلية الآداب-حماة.

The Image of the Sword in Amro Ibn Madi Karb AL Zobidi's Poetry

Hiba Abdul Rahman Alshami**

Dr. Khaled Zgret*

(Received: 15 May 2022, Accepted: 23 August 2022)

Abstract:

This research deals with the image of the swords in the poet Amro Ibn Madi Al Zobidi's poetry, the knight of Yemen. Whose sepoetry contained a historical document. He antedated the events of the battles. He fought through them in pre_Islam and Islam describing the weapons. He liked the swords, which he extremely mentioned. So it formed a sufficient subject for study in quantity and shows their names and attributes and revelation the artistic structure. Therefore, the research will present enough study for it. Unlike the previous studies that they did not study all its aspects dependent on the prescriptive method to study the different dimensions of this phenomenon. In the research I will classify them and study them in detail to give cpresent a detailed image about it.

Key words: Image _ Swords.

*Student of Master degree–Specialization forefront Al Islam Literature–faculty of Arts–Hama.

** Doctor –Specialization Pre–Islam Literature–faculty of Arts–Hama.

1-مقدمة:

يُعدّ السيف من الأسلحة القديمة لدى العرب، فقد كان سلاحاً مشهوراً في الحروب يُلازم المقاتل في معاركه ضدّ الأعداء في الجاهلية والإسلام وما تلاها من عصورٍ، فقد كانت العرب تهتمّ كثيراً بالسيوف، إذ كانت تصنعها أو تستوردها من الأمم المجاورة نظراً لكثرة حروبها وقوة أعدائها.

لقد أخذ السيف مكانةً في دراسات المؤلفين إذ عُنوا به كثيراً في معاجمهم ورسائلهم وموسوعاتهم وكتبهم، فمن ذلك كتاب المُخصّص¹ لابن سيده، ففي السفر السادس منه يُطلّغنا ابن سيده على تقسيماتٍ متنوعةٍ للسيوف نذكر منها (نعوتها من قبل قطعها ومضائها، نعوتها من قبل نُبوتها وكَلتُها، غمد السيف وحمانله...).

تغنى الشعراء الفرسان ببطولتهم في قتل الأعداء بسيوفهم مثل الفارس عمرو بن معدي كرب الزبيديّ فارس اليمن الذي يعتمد في شعره على وصف المعارك التي خاضها مع الأعداء في جاهليته وإسلامه، فكان ذائع الصيت بين المقاتلين بسيفيه الصمصامة وذو النون، ففي شعره شواهدٌ كثيرةٌ عن صورة السيف سيقوم الباحث بدراستها كاشفاً عن أسمائها ونعوتها والبنية الفنيّة لها.

2-مشكلة البحث:

يُعدّ السيف السلاح الأبرز في شعر الشاعر المخضرم عمرو بن معدي كرب الزبيديّ إذ كان يكثر في شعره، وهذه الكثرة لها ما يُعلّلها؛ فعمرو فارس اليمن خاض حروباً عديدةً في جاهليته وإسلامه؛ لذلك كان لديه العديد من السيوف منها شُهرت بنسبتها إليه، ومنها نُسبت إلى صانعيها، ومنها نُسبت إلى بلادها، ومنها عرفت بنعتها، فوردت هذه السيوف في شعر عمرو في معارك مُحدّدة، أبانت استخدام الشاعر لها ودورها فيها، فكان للسيف ألقابٌ تخصّه تكشف عن صفته وعمله، وكذلك صور بلاغية تكشف عن جماله وقوته وعظّمته، وأساليب تناسب سياق ذكره، وإيقاع يبين الجرس الموسيقي له، فدراسة صورة السيف في شعر هذا الشاعر تستدعي الوقوف عند كل ما سبق ذكره للكشف عن تجليات البناء الفكري والفني للسيف.

3-أهمية البحث:

تتجلى أهمية البحث في تقديمه دراسةً مخصّصةً وافيةً بصورة السيف في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيديّ؛ لأنّ الدراسات السابقة اللغوية منها والأدبية عُيّنت بدراسة بعضٍ منها، لكنّها لم تقدّم دراسةً شاملةً أو مستقلةً فيما درسته، وهذه الدراسات مُتعدّدة منها ألقاب السلاح في اللغة العربيّة حتّى نهاية القرن الخامس الهجريّ دراسة لغويّة تأصيليّة²، و"السيف العربي ومكانته في أدبنا"³.

4-أهداف البحث:

- 1-تعرف صورة السيوف المشهورة في نسبتها إلى الشاعر عمرو بن معدي كرب الزبيديّ.
- 2-الكشف عن صورة السيوف المنسوبة إلى صانعيها في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيديّ.
- 3-إبراز صورة السيوف المنسوبة إلى موضع صنعها في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيديّ.
- 4-الكشف عن صورة السيوف المنعوتة في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيديّ.
- 5-بيان المكونات الفنية لصورة السيف في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيديّ.

¹ينظر: المُخصّص: ابن سيده علي بن إسماعيل، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت)، 6/16 ... 28.

²ألقاب السلاح في اللغة العربيّة حتّى نهاية القرن الخامس الهجريّ دراسة لغويّة تأصيليّة: أمينة محمود أيوبيّ، (د. ط)، دار شرّاح، حلب، 2017م.

³ السيف العربي ومكانته في أدبنا: حسن محمود موسى النميريّ، ط1، وزارة الثقافة، دمشق، 2012م.

5- أسئلة البحث:

- 1- ما أسماء السيوف المنسوبة إلى الشاعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي؟
- 2- ما السيوف المنسوبة إلى صانعيها في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي؟
- 3- ما السيوف المنسوبة إلى موضع صنعها في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي؟
- 4- ما نعوت السيوف الواردة في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي؟
- 5- كيف تجلّى البناء الفئّي لصورة السيف في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي؟
- 6- حدود البحث: يدرس هذا البحث ألفاظ السيف في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي الذي قاله في الجاهلية والإسلام حتى وفاته سنة 21هـ.
- 7- الدراسات السابقة:

عثر الباحث على الدراسة الآتية:

صورة المحارب في ديواني عمرو بن معدي كرب الزبيدي والقعقاع بن عمرو التميمي: محمد خالد المبيضين، جامعة مؤتة، الأردن، 2017م.

عنيت هذه الدراسة بدراسة السيف في فصلها الأول المعلنون بـ "وصف المحارب" إذ قامت بدراسة السيف دراسةً وصفية تحليلية غير متعمقة أو وافية حتى إنها لم تأت على تصنيف ما درسته، فقادنا هذا الأمر إلى دراسة السيف لتقديم دراسة وافية لمادة السيف في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي.

8- منهج البحث: اعتمد البحث على المنهج الوصفي لدرسته في وصف الظواهر إذ سيقوم بتصنيف الشواهد المدروسة وتحليلها والربط بينها وبيان أسبابها ونتائجها ليقدم دراسة مفصلة عنها.

9- مصطلحات البحث والتعريفات الإجرائية:

السيف: أحد الأسلحة القديمة للعرب جاء معناه في كتاب المخصص لابن سيده " السيف مشتق من قولهم ساف ماله أي هلك فلما كان السيف سبباً للهلاك سمي سيفاً"¹، وقال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة: "سيف: السين والياء والفاء أصل يدل على امتداد في شيء وطول من ذلك السيف سمي بذلك لامتداده"²، وورد في معجم التراث السلاح للجنيديل أن " السيف الذي يضرب به معروف والجمع أسياف وسيوف وأسيف"³.

الصورة: يقصد بالصورة لغةً هيئة الشيء وصفته، فالصورة " ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء، وهيئة وعلى معنى صفة. يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفته"⁴، أما الصورة اصطلاحاً (وهو ما نبتغيه في دراستنا)، فنعني بها تجليات البناء الفكري والفئّي للسيف، وذلك بالوقوف على تصنيفات السيف بم يلائم المادة المدروسة، فهذه التصنيفات تبرز أسماء السيف ونسبته إلى صانعيه وبلدانه وتبرز نعوته، والكشف عن البناء الفئّي للسيف من خلال دراسة الألفاظ والأساليب والصور والإيقاع.

¹المخصص، 16/6.

²معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، (د. ط)، دار الفكر، 1979م، 121/3.

³معجم التراث السلاح: سعد بن عبد الله الجنيديل، (د. ط)، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1417هـ، ص: 126-127.

⁴معجم لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د. ت)، (مادة: صور).

عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

كان عمرو بن معدي كرب الزبيدي شاعراً وفارساً مخضرمًا عاش حياته في الجاهلية والإسلام، أسلم سنة 9هـ، ثم ارتد عن الإسلام، ثم رجع إليه، شارك في العديد من الحروب في الجاهلية مثل حرب بني عامر وبني سليم وكندة، وفي الإسلام شارك المسلمين في معارك اليرموك والقادسية ونهاوند وجولاء، فأبلى فيها بلاءً حسنًا¹. وكان عمرو فارساً مشهوراً في قبيلته (مذحج) في اليمن، فكان يضرب به المثل في فروسيته في الحروب في ركوبه الخيل وكرهه على الأعداء وحذاقته في ضربهم وطعنهم، حتى قيل عنه: "فارس ولا كعمرو"².

كان عمرو خبيراً بالسلاح، فقد كان لديه العديد من الأسلحة مثل السيف والرمح والسهم والسنان، ففي شعره ما يؤكد ذلك، فشعره وثيقة تاريخية ضمنها وصفاً لحروبه التي خاضها في الجاهلية والإسلام، ويمكن أن نلتبس خبرته بالسلاح في جوابه عن سؤال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي سأله عن السلاح، فكان جوابه: "الرمح أخوك وربما خاتك، والنبل منايا تخطى وتصيب، والثرس هو المجن، وعليه تدور الدوائر، والرمح مشغلة للفارس متعبة للزجل، وإنها لحصن حصين، وسأله عن السيف فقال: ثم قارعتك أمك عن الثكل. قال عمر: بل أمك. قال: الحمى أضرعتني"³.

وانطلاقاً من أهمية السلاح في حياة فارس الحروب عمرو بن معدي كرب الزبيدي عمدنا أن نقدم دراسةً لصورة السيف في شعره، ويُقصد بالصورة لغةً هيئة الشيء وصفته، فالصورة "صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفة"⁴، ويُقصد بالصورة لغةً هيئة الشيء وصفته، فالصورة "صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا أي صفة"⁵، أما الصورة اصطلاحاً وهو ما سنقوم عليها دراستنا، فنقصد بها تجليات السيوف المنسوبة إلى أصحابها، ونعوتها وطبيعة الموقف الدافع إلى استعمالها، والكشف عن مواضعها في شعر عمرو، والوقوف على وظيفتها اللغوية والفنية، وسيتجلى ذلك على النحو الآتي:

صورة السيوف المنسوبة إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

1- السيف الصمصام:

للفارس عمرو بن معدي كرب الزبيدي العديد من السيوف أشهرها سيفه الصمصام، وهو سيف مشهور عند العرب⁶، إذ كانت تتردّد أخباره كثيراً لدى الناس في شبه الجزيرة العربية، وفي اليمن بلد عمرو، فذاع صيته به⁷، أما عن معنى هذا السيف فهو "السيف الصّارم المصمّم على إفناء ضريبتة، ولا ينتهي عنها"⁸.

¹ ينظر: الأعلام: خير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، 86/5. وشعر عمرو ابن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، ط2، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1985م، ص: 11-12-13-28-29.

² شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 35.

³ الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف، (د. ت)، 373/1. أضرعتني: الدل والخضوع. وهذا مثل: (الحمى أضرعتني لك) يضرب عن الدل في الحاجة تنزل.

⁴ معجم لسان العرب، (مادة: صور).

⁵ معجم لسان العرب، (مادة: صور).

⁶ ينظر: المخصّص، 28/6.

⁷ ينظر: السيف العربي ومكانته في أدبنا، ص: 152.

⁸ السيف العربي ومكانته في أدبنا، ص: 34.

كان هذا السيف يُضرب به المثل في "كرم الجدّ وحسن المنظر وشدة المضاء، وقيل إنّه نُعت به إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطّاب، وضرب به ليجزيه، فوجده دون ما قيل عنه، فأرسل إلى عمرو بن معدي كرب بذلك، فأجابه: لقد بُعثت لك بالسيف، ولم أبعث لك باليد التي تُضرب بالسيف"¹. وظّف عمرو سيف الصمصام في أربعة مواضع في شعره²، منها اثنان في الجاهلية، واثنان في الإسلام؛ ونتخير منها قوله³ في مبارزته ابنه(الخرز)⁴ في الجاهلية: [مجزوء الوافر]

ولو أبصرت ما جمّع تُ فوق الورْد تَرْدُهُ
رأيث مُفاضةً زَغْفاً وتزكاً مُبهماً سرُّهُ
وصمصاماً بكفّي لا يذوق الماء من يرُّهُ

يُخاطب عمرو(الخرز)، فيبين له أنّه مستعدّ استعداداً تاماً لمحاربتة بعدته الثقيلة التي يحملها فرسه الضخم التي إن أبصرها ابنه لاحترها واستهزأ بها، ويبرز له أنّ لديه درعاً واسعةً وخوذةً تقيهما من الضرب، ثم يرتكز في اعتماد قوته على سيفه الصمصام، فيجعله في كفه أداة قتلٍ محتّم، فمن يصبه من غير شك، سيفقد الحياة، ولا يذوق الماء من بعده، فنجد أن الشاعر منح السيف قوةً خارقةً في الفتك والإبادة.

واستخدم عمرو سيفه الصمصام في معركة القادسية في قتال قائد الفرس(مهران) يقول⁵ مصوراً مشهد قتله: [الطويل]

وأني غداة القادسيّة إذ أتوا بجمعهم ليث هصورٍ غشمشم
شدّدت على مهران لما لقيته بكفّي صمصام العقيقة مخدّم
فغادرته يكيو لحرّ جبينه عليه نُسورٍ واقعاتٍ وحوم⁶

يتحدّث عمرو عن بطولته يوم القادسية أمام جيوش الفرس العظيمة، إذ لم يكن مبالياً بعددها أو قوتها، بل كان معتدّاً بقوته الخارقة الليثية التي ترعب الأعداء وتصيبهم بالفرع، ثم يبرز اصطدامه بقائد الفرس(مهران)، إذ شدّ عليه الضرب بسيفه الصمصام الذي امتاز بسطوع بريقه، وسرعة القطع به، فكان جاهزاً بكفه للقيام بهذه المهمة الجليلة، فقتل به مهران هذا القائد العظيم، فسقط من أعلى فرسه على الأرض مقتولاً مغلوباً، وكانت الطيور الساعية تتسابق للهبوط حول جسده، فتراها كثيرةً منها واقعةً وأخرى حائمةً تتسابق إلى روي جوعها الشديد من هذه الغنيمة المباركة، فكان هذا السيف الوسيلة الحاسمة في قتل قائد الفرس، والتغلب عليه وإذلاله.

¹آداب الفروسية عند العرب: عبود قرّة، قَدَمه: فارس الضاهر، ط1، دار الملايين، دمشق، 2000م، ص: 88.

²ينظر: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 91-96-69-138.

³المصدر نفسه، ص: 91-91. الورد: فرسه. تزدهده: تستقله وتحترقه. والرغف: الذرع، وزغف بدلاً من مفاضة كما تقول مررتُ بعاقِلِ رجلٍ. التزك: جمع تريكة وتزكة هي بيضة الحديد للرأس.

⁴انظر مناسبة الأبيات في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 89-90.

⁵منسوب إلى عمرو بن معدي كرب الزبيدي في ديوانه، ص: 196.

⁶المصمّم من السيوف الذي يمز في العظام فيقطعها. المخدّم من السيوف: سريع القطع. لسان العرب، (مادة: صمم-خدم).

2- سيف ذي النون:

يُعدّ سيف ذي النون من سيوف عمرو بن معدى كرب الزبيدي المشهورة لكنّه أقلّ شهرةً من سيفه الصمصام¹. وظّف عمرو سيفه ذا النون في موضعٍ واحدٍ في شعره، في معرضٍ تغنيه ببطولته في قتل الأعداء الفرس في معركة القادسية، فيقول²: [الرجز] أنا أبو ثورٍ وسيفي ذو النون

أضربهم به ضربٍ غلامٍ مجنونٍ

يا ل زبيدٍ إنهم يموتون

يصوّر عمرو اعتداده بكنيته التي شوّه بها، فهو (أبو ثورٍ)، وهذه الكنية تشرفه وتعظمه؛ لأنه عهد بها فيما سلف من بطولته جعلته علامةً في الشجاعة والقوة والفتك، ويردّ هذه الانتصارات والتغلب على الأعداء إلى سيفه ذي النون، حيث كان يطاوعه في الصّراب، فيضرب به مثل فتى طائشٍ؛ لأنّه سيفٌ حادٌّ وقاطعٌ وخفيفٌ يسمح له برشاقة الضرب وحدّته، حتّى إذا انتهت المعركة أبصر عمرو من قتلهم، فوجد أنّه قتل الكثير من الأعداء الفرس وقومه (بني زبيدٍ)، ف شعر بالألم والأسف على ما فعله بهم جزاء ضربه السّاحق لهم بسيفه ذي النون.

صورة السيوف المنسوبة إلى صانعيها:

I- سيف سلامة ذي فائش:

هذا النوع من السيوف نسب إلى صانعه سلامة الذي كان يقيم في فائش، وهو "وادي في أرض اليمن وبه سُمّي سلامة بن يزيد بن عريب بن تريم بن مرثد الجميريّ ذا فائش، وكان هذا الوادي له أو لأبيه"³. كان هذا السيف من السيوف التي أدخراها عمرو بن معدى كرب الزبيديّ، ذكر عمرو هذا السيف في موضعٍ واحدٍ في شعره، يبيّن فيه استعداده لإحدى حروبه في الجاهلية إذ يقول⁴: [المتقارب]

أعددت للحربِ فضفاضةً دِلاصاً تننّي على الرّاهش

وأجزد مُطرّداً كالرّشاءِ وسيف سلامة ذي فائش

حُساماً تراه كمثل الغديرِ عليه كمنمة النّاقش

تكشف هذه الأبيات عن الإعدادات القبلية لفارس الحروب عمرو، إذ يعرض أنّه أعدّ للحرب درعاً واسعةً لينةً وملساءً ملائمةً لجسده، وأعدّ رحماً يشبه الحبل في استقامته وطوله وسعة القتل به، وأعدّ إلى جانب رحمه، سيف المقاتل سلامة الذي كان يحامي وادي فائش في اليمن، فعمرو سيقوم بهذا المهام في محاماة قومه، ثم يصف عمرو هذا السيف معتدّاً به، فيبيّن شدّة القطع به، ويبرز شكله الخارجي الجميل إذ كان موشّى بالرّسومات المنمّقة لصانعه نظير جمال ماء الغدير حين تحدث الرّياح الشديدة أثارها في سطحه، فيتغيّر شكله، فيضج بعناصر الطبيعة الملقاة فيه مما يعطيه شكلاً جميلاً.

¹ ينظر: السيف العربي ومكانته في أدبنا، ص: 27.

² شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي، ص: 186.

³ معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحمويّ الروميّ، تح: فريد عبد العزيز الجندّي، (د. ط)، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د.ت)، 266/4.

⁴ شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدي، ص: 133. الدّلاص: اللّينة البراقة الملساء. الرّواش: عصب وعروق في باطن الدّراع، وقيل في ظاهره واحدها راهشة وراهش. الأجرد: غني به الرّمح، وقد سوّيت كعوبه فاملس، مطرد: مستقيم. الرّشاء: الحبل شبّه الرّمح في طول به.

2- سيف من لُدُن كنعان:

هذا السيف من السيوف القديمة الذي يُنسب إلى الكنعانيين الذين يرجع نسبهم إلى النبي نوح عليه السلام، فقد وضح ياقوت الحموي نسب الكنعانيين ومنازلهم، فقال: "... وُلِدَ لنوح سام وحام ويافت وشالوما وهو كنعان الذي غرق ودال لا عقب له، ثم قال: الشام منازل الكنعانيين"¹.

وظف عمرو بن معدي كرب هذا السيف في شعره ليعبر عن تمنّي أحد المقاتلين أن يظفر به ليقته، قائلاً²: (الوافر) تمنّي أن يلاقيني قبيسٌ
وَدِدْتُ وأينما مَني ودادي

وسيفٌ من لُدُن كنعانٍ عندي تُخَيَّرُ نَصْلُهُ من عهدِ عادٍ

يكشف عمرو عن تمنّي عدوّه (قيس) أن يظفر به ليقته، فيبادله الشاعر هذه الرغبة؛ ليبيد له قوته وعدم خوفه منه، واحتقاره له والتقليل من شأنه، ثم يظهر له احتفاظه واعتداده بسيفٍ قديم يعود أصله إلى قبيلة (كنعان)، وهي من نسب النبي نوح عليه السلام، فهذا السيف له مكانته ونفاسته وقداسته لدى الشاعر إذ توارثه عن أجداده منذ الزمن الغابر، فنصله يرجع إلى قبيلة عاد، وهي قبيلة قديمة، فهذا السيف بعيد العهد لا يزال في عهد عمرو متوارثاً عن الخلف ومستعملاً في الحروب في قتال الأعداء، فالشاعر يفتخر بامتلاكه هذا السيف.

3- سيف من عهد ابن ضد:

يعد هذا السيف من أقدم السيوف لدى الشاعر، فهو منسوب إلى ابن ضدّ، وهي: "قبيلة من عاد"³. وظف عمرو بن معدي كرب هذا السيف في شعره في موضع واحد في الجاهلية وذلك حين هدّده أبيّ المرادي الذي غزا معه مرةً، فعرف عمرو أنّه كان مسانداً الأعداء، فرفض أن يعطيه شيئاً من الغنائم، وحين هدّده أبيّ، قال له عمرو⁴: (الوافر) تمنّاني وسابغتي دِلاصٌ كأنّ قنيرها حدقُ الجرّادِ

وسيفي كان من عهد ابن ضدٍّ تُخَيَّرُهُ الفتى من قوم عادٍ

يصوّر الشاعر أمنية عدوّه أن يظفر به ليبارزه، فيبرز له عمرو عدّته الحربيّة مثل درعه الواسعة الفضفاضة البراقة الملساء، فيشبهه رؤوسها بحدق الجرّاد؛ ليدلّ على اتساعها وضخامتها وجمالها، ثم يبيّن له قدم سيفه، فهو من عهد ابن ضدّ، كان يقع اختيار الفتية له من قوم عادٍ أي من زمنٍ سحيقٍ، فالشاعر يذكر هذا السيف ليكشف لعدوّه استعداده للحرب متى ما شاء، فيعظم من شأن سيفه القديم الذي سيحميه من الأعداء، لقدمه ونفاسته عنده، فقلّة من المقاتلين من لديه سيفاً مثل سيفه هذا. صورة السيوف المنسوبة إلى بلد صنعها:

¹ معجم البلدان، 4/549.

² شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 110-111.

³ المصدر نفسه، ص: 108.

⁴ المصدر نفسه، ص: 107-108. السابغة: الدرع الفضفاضة. دِلاص: برّاقة ملساء لينة. القنير: رؤوس مسامير الدرع شبهها بحدق الجرّاد.

1- سيف المشرفية:

سيف المشرفية منسوبٌ إلى بلده المشارف، وهي "قرى معروفةً بالشام تُجلب منها السيوف، وتُطبع فيها، ويُقال هي قرى من أهل العرب تقرب من الرّيف أو قرى بالشام من أرض اليمن، وقيل هي منسوبةٌ إلى مشرف، وهو رجلٌ من ثقيف"¹. وظّف الشاعر هذا السيف في ثلاثة مواضع في شعره² موضعين منها في الجاهلية، وموضع في الإسلام في حروب الردة، فكان يقاتل به المرتدّين، في قوله³: [الوافر]

ومُهر كريمةً في صفحتيه نوافذُ بالأسنةِ والسهامِ

ووقعُ المشرفيِّ بحاجبيه وجبهتهِ وما تحتَ الحزامِ

يتحدّث عمرو عن تطويق قومه العدوِّ بمهرهم الكريمة وطعناتهم الصّائبة بأسنتهم وسهامهم، ويصف وقع المشرفي بهذا العدوِّ وقعةً شديدة الأثر والبروز إذ أحاط قومه بالعدوِّ إحاطةً كاملةً بحاجبه وجبهته وما تحت حزامه، فهذا الأمر يضعف العدو، ويجعله عاجزاً عن مقاومة المسلمين، ويجعله في موضع الهزيمة والقتل الشديد الذي قد يميته.

2- سيوف الهند:

من السيوف التي عرفتها العرب منذ القدم "وهذا يدلنا على صلة وثيقة وتعاملٍ مُؤكّدٍ بين العرب والأمم المجاورة يستوردون منها ما هم بحاجةٌ إليه، ويصدرون إليهم ما يفيض عن حاجتهم، وما يطلبهم جيرانهم من الأمم والسلاح ومستلزماته كانت إحدى السلع الضرورية التي كانوا يتبادلونها"⁴.

وظّف عمرو هذا السيف في خمسة مواضع في شعره⁵ في الجاهلية نتخير منها حديثه عن يوم رنية الذي كان بين قبيلته (مُدجج) من جهة وبين قبيلتي (قُصاعة) و(هوازن) من جهة أخرى يقول عن ذلك⁶: [الطويل]

فلما هبطنا بطنَ رنيةً بالقنا أرناً سحابَ رَعْدُهُ مُتجاوِبُ

وسلّت سيوفُ الهندِ منّا كأنها مخاريقُ نالتها أكفُّ لواعبُ

بها نتشافي في الغلِّ في ذات بيننا وترهو بأيدينا سيوفٌ قواضبُ

يبين عمرو في هذه الأبيات هبوط قبيلته مُدجج وادي (رنية) في اليمن برماحهم وجيوشهم الكثيرة التي كانت تحدث صوتاً صاخباً في سيرها بعثادها الثقيل وخيلها، فكان صوتها نظير صوت الرّعد، حيث كانت قبيلتا قُصاعة وهوازن في هذا الوادي، فاشتكت مدحج معهما، فبين عمرو نوع السيوف التي كانت قبيلته تُضارب بها الأعداء، فبين أنّها سيوفٌ هنديةٌ جُلب حديدها من بلاد الهند، فكانت بأيدي المقاتلين في هذه المعركة، فأخذوا يستلونها من أعمادها بحريةٍ وطلاقةٍ دون تعبٍ نظير المخاريق في أيدي الصبية الذين يلعبون بها كيفما شاؤوا، فيتحكم المقاتلون في حركة سيوفهم في القتال رفعاً وخفضاً، فيبلغون

¹آداب الفروسية عند العرب، ص: 98.

²ينظر: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 137-145-162.

³شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 162.

⁴السيف العربي ومكانته في أدبنا، ص: 50-51.

⁵ينظر: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 61-96-164-177-127.

⁶المصدر نفسه، ص: 61.

مأربهم في قتل الأعداء، فتشتقي قلوبهم من ضغنهما، وكان المقاتلون معتدين بها متفائلين؛ لأنها سيوفٌ قاطعةٌ شكلها الخارجي أبيضٌ براقٌ مما يكشف عن شدة قوتها وجمالها.

صورة السيوف المنعوتة في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

1-السيف الصّارم:

يعدّ السيف الصّارم من السيوف التي تدلّ على شدة القطع، وهي صفةٌ مُلازمةٌ للسيف، فقيل عنه " هو السيف الماضي القاطع الذي يقطع ضريبته في الحال"¹. وظّف الشاعر هذا السيف في ثلاثة مواضع في شعره² موضعين في جاهليته وموضع في الإسلام صوّر فيه تهديد الأمير سعد بن أبي وقاص له بالعقاب فقال³: [الطويل]

أيوعدني سعدٌ وفي الكف صارمٌ سيمينغٌ مني أن أدلّ وأخضعا

فو الله لولا الله لا شيءٌ غيرهٌ لجلّته الصمصامٌ أو يتقطعا

كان عمرو قائد المسلمين في معركة القادسية التي كان أمير جيشها سعد بن أبي وقاص، فحين انتصر المسلمون، وغنموا اعترض عمرو على توزيع الأمير سعد بن أبي وقاصٍ للغنائم، فكان نصيبه منها قليلاً، فأظهر سخطه من الأمير سعد الذي هدّده بالعقاب إن لم يرض بقسمته، فأظهر عمرو استهزاءه بهذا الوعيد، وعدم مبالاته به مُظهراً قوته بسيفه الصّارم الذي في كفه، فكان جاهزاً للقتال متى ما استدعى الأمر ذلك، فيعتدّ عمرو بهذا السيف الذي كان يُصاحبه في هذه المعركة، فلا يخله في القتال، بل سينصره، وسيمنعه الوقوع في مذلة سعدٍ والخضوع له، ثم يقسم بالله تعالى أمام سعدٍ أنه لولا ما نهى عنه ربّه من قتل النفس ظلماً لكان قد قتله بسيفه الصمصام، فقطع أشلاءه وأهانته إهانةً كبيرةً، لكنّه لا يفعل ما نهى عنه ربّه، فيثير غضبه عليه.

2-سيف ذي شُطب:

هذا السيف شكله الخارجي مُشطبٌ، فتظهر فيه طرائقٌ تطول أو تقصر نتيجة احتكاكه بالسيوف في المعارك، فقيل عنه " سيفٌ مُشطبٌ ومشطوبٌ: في منته شُطبةٌ، وهي طريقةٌ منه مرتفعةٌ عنه، وتسمى بسُفْسقة السيف، وقيل: بل السُفْسقة: ما بين الشُطبتين على صفحة السيف طولاً"⁴.

جاء توظيف هذا السيف ثلاث مرّات في شعر عمرو في جاهليته⁵، منها قوله⁶ يصوّر استعداده للحروب: [مجزوء الكامل]

أعددتُ للحدّثانِ سابغةً وعداءً علّنتي

¹السيف العربي ومكانته في أدبنا، ص: 30.

²ينظر: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 138-121-216.

³المصدر نفسه، ص: 138.

⁴ مبادئ اللغة مع شرح أبياته: الخطيب الإسكافي مُحمّد بن عبد الله، تح: عبد المجيد دياب، (د.ط)، دار الفضيلة-مصر، دار الاعتصام-المغرب، (د.ت)، ص: 164.

⁵ينظر: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 200-80-181.

⁶المصدر نفسه، ص: 80. مفاضة: درع واسعة. عداءً علّنتي: فرس ضخم واسع.

نَهْدًا وَذَا شُطْبٍ يَقْدُ الْبَيْضَ وَالْأَبْدَانَ قَدًا

جَهَّزَ عمرو للحروب درعه الواسعة مثلما اعتاد عليها، وفرسه الصَّخْمَ الغليظ ليركبه، ويسير به لملاقاة الأعداء وقتلهم، وأعدَّ سيفاً مُشْطَباً كان قد استعمله في معاركه الماضية حتَّى كثرت الشُّطوب فيه جرَّاء احتكاكه بسيوف الأعداء في الحروب، فكان هذا السيف بشكله المُشْطَب الجميل يدلُّ على صلابته وحدته، وهذه الصفات تعجب عمرو إذ استخدمه ليقْدَ به خوذ الأعداء وأبدانهم قَدًا شديدًا مؤلمًا سريعاً مُستمرًّا ممَّا يرهب الأعداء، ويضعف عزيمتهم على القتال، فيجعلهم عرضةً للهزيمة أو الموت.

3-الأبيض:

الأبيضُ صفةٌ لحديدة السيف، وهذا اللون يدلُّ على بياض لون السيف ولمعانه وحدته. تغنى عمرو بسيفه الأبيض في أربعة مواضع في شعره¹ ثلاثة مواضع في جاهليته، وموضع في الإسلام كان فيه يصوّر البطولة الجماعية للمقاتلين في معركة القادسية في قوله²: [الكامل]

وَالْقَادِسيَّةُ حِينَ زاحِمِ رُسْتَمِ كُنَّا الحُمَاءُ نَهْرُ كَالأشْطَانِ

الصَّارِبِينَ بِكَلِّ أبيضِ مِخْدَمِ وَالطَّاعِينَ مَجَامِعِ الأَصْغَانِ

يصف عمرو مزاحمة قوى الفرس لجيشه في القادسية بقيادة قائدهم (رستم)، فيتحدّث عن مواجهة جيشه الفرس مُعتدًّا بقوتهم إذ كانوا يحامون أنفسهم برماحهم التي تشبه الحبال في طولها وسعة القتل بها، وكانوا بسيوفهم البيض يضاربون أعداءهم، فهذه السيوف بجمال لونها الأبيض الساطع وشدة بريقها، كان لها دورٌ نفعيٌّ في قتل الأعداء لشدة حدتها، فكشف عمرو بهذه السيوف عن البطولة الجماعية لجيشه، فكان عمرو مُعتدًّا بها بأيدي المقاتلين مثلما كان مُعتدًّا برماحهم التي كانوا يطاعنون بها قلوب الأعداء؛ ليتخلَّصوا من أضغانهم وشروهم.

وجد ممَّا تقدّم أنّ صورة السيف في شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي لم تجيء واحدة، بل كانت لها تصنيفات متعدّدة عرضها البحث؛ فمنها نسبت إلى الفارس عمرو، وأخرى نسبت إلى صانعيها، وبعضها نسبت إلى البلاد التي صنعت فيها أو جلبت منها، والسيوف المنعوتة، فهذا النوع من التصنيفات يكشف عن كثرة سيوف الشاعر وتنوعها واعتماد عمرو بالسيف اهتماماً كبيراً؛ لأنّه السلاح الرئيس له في الحروب، فيساعده في الفتك بالأعداء وتهديدهم وغلبتهم.

الدراسة الفنيّة لصورة السيف:

الألفاظ:

عرض عمرو صورة السيف في شعره بألفاظٍ تغلب عليها الجزالة وقوة التعبير ودقته مثل (شُطْب-يقْد-صمصام-أبيض-يتقطع-ضرب-مخدم-عضب)، فلفظ (شُطْب) دلّ على الشكّل الخارجي للسيف وشدة القطع به، فهذا السيف في صفحته خطوطٌ أو طرائقٌ، وهذه الطرائق تعطي للسيف شكلاً جميلاً يجذب الأنظار، وهذه الشُّطوب تدلُّ على شدة حدّة السيف الذي كُثِرَ احتكاكه بسيوف الأعداء حتَّى صار مشطوباً. ولفظ الفعل المضارع (يقْد) يدلُّ على استمرار عمل السيف في قطع أجساد الأعداء،

¹ ينظر: شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، ص: 120-115-127.

² المصدر نفسه، ص: 174. رُستم: بضم الزاء، والفاء مفتوحة، وقد تضمّ: الأشتان: مفردة شطن، وهو الحبل الطويل شبه الرمح به. والمخدم: القاطع. الأصغان: الأحقاد.

وهذا يدل على قوته وصلابته كما يدل على الجهد المستمر الذي بذله الفارس عمرو في قتل الأعداء، فكان قتلاً رائعاً ذل فيه الأعداء وغلبهم.

الأساليب:

اعتمد الشاعر بكثرة على الأسلوب الخبري في عرضه صورة السيف؛ لأن المقام يتطلب منه إماماً ببعض أحداث المعارك من خلال السرد؛ لتبيين وظيفة السيف فيها، ونعته، وإظهار عظمته واعتداده الشاعر به، أما الأسلوب الإنشائي، فوظفه عمرو في بعض المواضع للتعبير عن حالته النفسية مثل قوله (يا زبيد إنهم يموتون!) إنشاءً جاء بصيغة النداء والغرض منه إظهار توجع الشاعر وتأسفه على قتله الكثير من المقاتلين من قومه (بني زبيد) ظلماً وطيشاً، ويقول الشاعر (أيوعدي سعدٌ وفي الكف صارمٌ؟) إنشاءً جاء بصيغة الاستفهام لإظهار استهزاء عمرو بوعيد الأمير سعد له بالعقاب، فهو غير مُبالٍ بهذا التهديد لشدة قوته وتحصنه بسيفه الصارم الذي سيقية من خطره.

الصور:

وظف الشاعر الصور الفنية من تشبيه واستعارة وكناية بما يخدم المعنى تعبيرياً وجمالياً، فمن تشبيهاته قوله: [الرجز] أنا أبو ثورٍ وسيفي ذو النون

أضربهم به ضرب غلام مجنون

يا ل زبيد إنهم يموتون

شبه عمرو نفسه بالغلام المجنون في ضربه الأعداء الفرس بسيفه ذي النون، فدل على سفاهة ضربه لهم، ولبعض قومه بني زبيد، وذلك بسيفه ذي النون، فكان هذا الضرب عشوائياً سريعاً صائباً مُخيفاً شديداً يكشف عن قوة عمرو وحذاقته بالضرب كما يكشف هذا الضرب عن خفة هذا السيف، وشدة القطع به وجودته مما أمكنه من قتل عدداً كبيراً من المقاتلين.

يقول عمرو: وسلت سيوف الهند منا كأنها مخاريق نالتها أكف لواعب

شبه الشاعر السيوف المُستلة من غمدها في أيدي المقاتلين والمُهَيَّة للقتال بمخاريق الصبية في ملكية المقاتلين لها وخفة حجمها وسهولة استعمالها نظير مخاريق الصبية، فهذا التشبيه دل على قوة المقاتلين المُتَحَصِّنِينَ بهذا النوع من السيوف وحذاقتهم في استعماله بيسر.

وفي قول عمرو: (صارمٌ سيمنع مني أن أدل وأخضع) هذه الاستعارة منحت السيف الصارم صفة الإنسان المقاتل الذي سيرد عن صاحبه الذل، وسيصره على أعدائه، فهذه الصورة كانت للمبالغة في إظهار قوة السيف، وللدلالة على عظمته واعتداده الشاعر به.

ووظف الشاعر الكناية في شعره في قوله: وصمصاماً بكفي لا يذوق الماء من يرده كنى الشاعر بقوله (لا يذوق الماء من يرده) عن قوة سيفه الصمصام القاطع الذي سيجعل وصول الأعداء إليه أمراً بعيد المنال، فهذا السيف سيرد عنه الخطر، وسيبيد أعداءه.

الإيقاع: نوع الشاعر في روي قوافيه في الشواهد المدروسة مما يدل على قدرته الإبداعية، فكانت بين الكسر والضم (ش-د-م-ن، م-ب)، فهذه الحركات بوصفها أقوى الحركات تتناسب صورة السيف؛ لأن عرض أفكارها يتطلب قوة التعبير وسموه وطلاقته، ويأتي الروي الساكن (ه-ن-أ-ي) محطة تهاداً عندها نفس الشاعر من انفعالاتها المتأججة.

أما البحور العروضية، فتخيّر الشاعر بحوراً طويلة التفعيلات (الوافر-الطويل-الكامل)، فهذه البحور فتحت للشاعر آفاق التعبير عن موضوعه، فأجاد في عرض أفكاره ومشاعره، ونظم الشاعر بعض قصائده على بحري الرجز والمتقارب لسرعتها في عرض المعاني وسهولة النظم عليهما.

كوّنت القافية الموزونة الموخّدة والمكرّرة في الشواهد المدروسة (5//5/-5/5) أنغماً موسيقيةً مأنوسةً، وكان لتكرار بعض الأحرف مثل (الصاد، الراء، السين، النون) أثرٌ بارزٌ في موسيقا النصّ الشعريّ، فكان جرسها الموسيقيّ قوياً، فاستوعبت الدقّقات الشعوريّة للشاعر.

شكّلت الألفاظ والأساليب والصور والإيقاع عناصر البناء الفنيّ الجماليّ لصورة السيف، فكشف بها الشاعر عن الوظيفة التعبيريّة والفنيّة الجماليّة التي حققتها لموضوعه.

نتائج البحث:

يمكن عرض النتائج التي توصل إليها البحث على النحو الآتي:

-تعدّدت سيوف الشاعر عمرو بن معدّي كرب الزبيديّ في شعره، فهذا التعدّد يدلّ على مكانة السيف لديه، فهو السلاح الأكثر قوّة وملازمةً له في حروبه في الجاهلية والإسلام.

-تتوّعت سيوف عمرو بن معدّي كرب الزبيديّ منها الصمصام وذو النون وسيف سلامة ذي فائش ...، فهذا التنوّع يدلّ على الدأثة الحربيّة للشاعر وخبرته بالسلاح.

-سيفا الصمصامة وذو النون أشهر سيوف الشاعر عمرو بن معدّي كرب الزبيديّ، فقد استخدمهما عمرو في حروبه في الجاهلية والإسلام لتهديد الأعداء وقتلهم، فكشف بهما عن خبرته بالقتال وبطولته.

-يعدّ سيف سلامة ذي فائش، وسيف من لدن كنعان، وسيف من عهد ابن ضدّ من السيوف المنسوبة إلى صانعيها، فتميّزت بقدمها وقداستها، فالشاعر استخدمها في حروبه للوظيفة السابقة ذاتها أي في تهديد الأعداء وقتلهم معتدّاً بامتلاكه هذه الأنواع من السيوف.

-تُسبب سيف المشرفية والهندي إلى بلديهما اللذين صنعا فيهما أو جلبا منهما، فهذان السيفان يدلّان على التنوّع في الذخيرة الحربية للشاعر، وحرصه على اقتناء هذه السيوف لتمييزها بالصلابة وشدة الفتك بها.

-قدّم الشاعر في شعره وصفاً لبعض سيوفه إذ وصفها بشدّة قطعها وبشكلها المشطوب وبلونها الأبيض، فكانت هذه الصفات مصدر إعجاب الشاعر بسيوفه نظراً لوظيفتها النفعية في قتل الأعداء.

-تضمّنت شواهد دراسة السيف ذكراً لأسلحة أخرى مثل الرمح والسهم والسنان، فهذا يدلّ على غنى شعر عمرو بالسلاح على نحوٍ قد لا نجدّه عند غيره من الشعراء الفرسان.

-تخيّر الشاعر لموضوعه ألفاظاً تتسجم مع المعنى بجزالتها وقوتها التعبيريّة ودقّتها، فعبرت عن المعاني العميقة للشاعر التي أرادها الشاعر للسيف.

-نوّع الشاعر في صور البلاغية بين التشبيه والاستعارة والكناية، فكان هذا التنوّع خادماً للمعنى تعبيرياً وجمالياً.

-اعتمد الشاعر على الأسلوب الخبريّ أكثر من الإنشائيّ نظراً لطبيعة موضوعه الذي يتطلّب السرد والتفصيل والدقّة.

-كوّن الإيقاع برويه المتنوّع وبحوره المتعدّدة وأوزانه، والتكرار موسيقياً قويّة تتصاعد فيها الألحان، فتشدّ المتلقي إليها وتأسره.

فهرس المصادر والمراجع:

1-آداب الفروسية عند العرب: عبود قرّة، قدّمه: فارس الضاهر، ط1، دار الملايين، دمشق، 2000م.

- 2-الأعلام: خير الدين الزركلي، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
- 3-السيف العربي ومكانته في أدبنا: حسن محمود موسى النميري، ط1، وزارة الثقافة، دمشق، 2012م.
- 4-ألفاظ السلاح في اللغة العربية حتى نهاية القرن الخامس الهجري دراسة لغوية تأصيلية: أمينة محمود أيوبي، (د. ط)، دار شرع، حلب، 2017م.
- 5-شعر عمرو بن معدي كرب الزبيدي، جمعه ونسقه: مطاع الطرابيشي، ط2، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1985م.
- 6-الشعر والشعراء: ابن قتيبة، تح: أحمد محمد شاكر، ط2، دار المعارف، (د. ت).
- 7-مبادئ اللغة مع شرح أبياته: الخطيب الإسكافي محمد بن عبد الله، تح: عبد المجيد دياب، (د. ط)، دار الفضيلة-مصر، دار الاعتصام-المغرب، (د.ت).
- 8-المُخصص: ابن سيده علي بن إسماعيل، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).
- 9-مُعجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، تح: فريد عبد العزيز الخندي، (د. ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.ت).
- 10-معجم التراث السلاح: سعد بن عبد الله الجنيدل، (د. ط)، دار الملك عبد العزيز، الرياض، 1417هـ.
- 11-معجم لسان العرب: ابن منظور محمد بن مكرم، (د. ط)، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- 12-معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس، تح: عبد السلام هارون، (د. ط)، دار الفكر، 1979م.